دروسٌ تربويةٌ للشباب

في ضوءِ قصة سيدِنا موسى عليه السلام

في القرآن الكريم

إعداد الباحثة

نسمة نبيل إبراهيم حجازي

باحثة دكتوراه

تخصص التفسير وعلوم القرآن

جامعة الأزهر الشريف، القاهرة، مصر


بسم الله الرحمن الرحيم

دروسٌ تربويةٌ للشباب في ضوءِ قصة سيدِنا موسى عليه السلام في القرآن الكريم

نسمة نبيل إبراهيم حجازي

تخصص التفسير وعلوم القرآن،جامعة الأزهر الشريف، القاهرة، مصر

البريد الإلكتروني: Nessma.Nabil @azhar.edu.eg

الملخـــص :

من المســلَّمات أن أنبياءَ الله ورســلَه عليهم الســلام كانوا في حياتهم كلِّها -قبل الرســالة وبعدَها- يمثلون نماذجَ كاملةً للشــباب في شــتى الجوانب الدينية والخلقية والعملية والاجتماعية، فالمتطلب قدوةً لا ينبغي له أن يعدوَ سِــيرَهم وما حكى الله عنهم في كتابه الكريم ﴿ئۆ ئۆ﴾ [الأنعام:٩٠]، يســتعرض قصــصَــهم، ويدقِّق النظرَ في أحوالهم، ويتتبَّع مظاهرَ تربيةِ الله إياهم، ثم يصــوغُ من ذلك كله مادةً تربوية تكون نبراســا يُهتدى به، ونورًا يؤتمُّ به. ولما كان ســيدنا موســى عليه الســلام من أكثر أنبياء الله ذكرا في القرآن الكريم، وكانت فصولُ قصته بدءًا من مولده عليه السلام مفصلةً في مواضع عدة، متضمنة دروسا قيمة وفوائد جليلة، كان هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: دروس، تربوية، موسى، القرآن، الشباب.

Pedagogical Lessons for Youth in the Light of the Story of Moses Peace be upon him in the Holy Qur'an

By: Nessma Nabil Ibrahim Hegazy
A PhD. Researcher
Majored in Interpretation and Qur'an Sciences
Azhar University

Abstract

It is widely recognized that the messengers and prophets of Allah peace be upon them all- before or after the revelation of the divine messages- represented complete examples of youth in all the religious, ethical, practical and social aspects of life. Hence, it has become a requirement to introduce a good example that does not gallop their biographies or what has been revealed by Allah in the Holy Qur'an (Those are the ones whom Allah has guided, so from their guidance take an example. Say, " I ask of you for this message no payment. It is not but a reminder for the worlds"). ('90' Chapter 6) This verse displays their stories, examines their circumstances, traces the features of their upbringing by Allah. Then it composes a pedagogical material serving as a beacon of light to guide all the successive generations. It is largely identified that Moses peace be upon him is the most repeatedly mentioned of all the prophets of Allah in the Holy Qur'an. The story of Moses started earlier since his birth. It was mentioned in detail in many places and it included many valuable lessons and benefits as seen in this research.

Keywords: lessons, pedagogical, Moses, The Holy Qur'an, Youth.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

فإن الشبابَ هم لبِنةُ المجتمعات، وعمادُ قوتها، وهم أساس نهضة الأمم، وسرُّ حضارتها وتقدمها، والعنايةُ بتوجيههم وإرشادهم من أهم ما ينبغي أن يُعنى به العلماءُ والمربون وأصحابُ القلم.

ومن المسلَّمات أن أنبياءَ الله ورسلَه عليهم السلام كانوا في حياتهم كلِّها -قبل الرسالة وبعدَها- يمثلون نماذجَ كاملةً للشباب في شتى الجوانب الدينية والخلقية والعملية والاجتماعية، فالمتطلب قدوةً لا ينبغي له أن يعدوَ سِيرَهم وما حكى الله عنهم في كتابه الكريم ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام:٩٠]، يستعرض قصصَهم، ويدقِّق النظرَ في أحوالهم، ويتتبَّع مظاهرَ تربيةِ الله إياهم، ثم يصوغُ من ذلك كله مادةً تربوية تكون نبراسا يُهتدى به، ونورًا يؤتمُّ به.

ولما كان سيدنا موسى عليه السلام من أكثر أنبياء الله ذكرا في القرآن الكريم، وكانت فصولُ قصته بدءًا من مولده عليه السلام مفصلةً في مواضع عدة، متضمنة دروسا قيمة وفوائد جليلة، اخترتُ – حرصًا مني على المشاركة في مؤتمر الشباب الذي تعقده كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر – أقول: اخترت أن أجعل منها مادةً لهذا البحث الذي جاء بعنوان: دروسٌ تربوية للشباب في ضوء قصة سيدنا موسى عليه السلام في القرآن الكريم.

وقد اعتمدتُ فيه المنهج الاستقرائي التحليلي من خلال تتبع فصولِ قصته عليه السلامُ في القرآن الكريم، وانتقاءِ ما يصلُح منها مادةً لهذا البحث، ثم تحليلِها بذكر أقوال المفسرين فيها، واستنباطِ الدروس والفوائد التي هي المقصدُ من هذا البحث.

وحرصًا على بلوغ الغايةِ من البحث فقد قسَّمته بحسب المراحل التي تجلَّت فيها الدروس التربوية في قصته عليه السلام، وهي مرحلة ما قبل التنبيء – وتستغرق أغلب البحث-، ومرحلة ما بعد التنبيء.

واللهَ أسـألُ أن يتقبل هذا العمل، وأن يجعلَ منه مسـاهمةً نافعة في توجيهِ الشـباب وتقويمِ سـيرهم بما يضمن لهم الفلاح في العاجل والآجل.

المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل التنبيء.

لا يخفى أن سورةَ القصص هي أكثر سور القرآن الكريم عرضا لمراحل حياة سيدنا موسى عليه السلام قبل النبوة، حيثُ فصَّلت الكلامَ في نشـأته، وتربيته في آل فرعون، وما وقع له في شـبيبته من حوادثَ إلى وقت إبلاغه الدعوة.

وأنا أقتصر في بحثي هذا على فصولٍ من قصته عليه السلام تقدّم للشباب ومضاتٍ تربوية، وترسم لهم الطريقَ لبلوغِ أقصى مراتب الكمال الإنساني.

فبعدما قصَّ الله سـبحانه ما كان من قصـته عليه السـلام في مولده ونشـوئه في قصـر فرعون حتى شـبَّ واكتمل، وبلغ نهاية القوة وتمام العقل، ذكر أنه سبحانه جازاه على إحسانه بأن آتاه الحُكم والعلم، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [القصص: ١٤]

والحكمُ والعلم قيل: هما النبوة، وعليه تكون الآيةُ الكريمةُ اعتراضًا بين أجزاء قصة سيدنا موسى عليه السلام المرتبةِ على حسب ظهورِها في الخارج، فإن موسى عليه السلام إنما أوتي النبوَّةَ بعد خروجه من أرض مدين – على ما هو معلومٌ من سـياق القصـة–، وهذا الاعتراضُ نشـأ عن جملة ﴿وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾[القصص:١٣] أي أم موسى عليه السلام، فإن وعد الله لها قد حكي في قوله تعالى ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [القصـص:٧] –وذلك بعدما أُمرت بإلقائه رضـيعًا في اليم ﴿فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓ﴾ [القصــص:٧]– فلما انتهى إلى حكاية ردِّه إلى أمِّه بقوله ﴿ فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ﴾ [القصـــص:١٣] كمَّل ما فيه وفاءُ وعد الله إياها بهذا الاستطراد في قوله ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا﴾[1] .

(١) انظر: ابن عاشــور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، (الدار التونســية للنشــر، تونس، ١٩٨٤م) ج٢٠، ص٨٧.

وقيل: هما الفقه والعقلُ والعملُ قبل النبوة، وعليه تكون الآيةُ في موضعها من ترتيب القصة.

وهو الأصح من أقوال المفسرين؛ لأنه أوفقُ لنظمِ القصة[١]، ولأن النبوَّة لا تكون جزاء على العمل[٢].

والسورة وإن طوت ذكر ما عنى الله تعالى في هذه الآية من إحسانه عليه السلام الذي جازاه عليه بما ذُكر، إلا أنها أبرزت ما فيه العبرةُ بما قرَّرته من سنة الله تعالى في العاقبة ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]، فإنَّ في قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ تنبيهًا على أنه إنما آتاه العلم والحكمة لاستحقاقه إياه بإحسان العمل، استُفيد ذلك من تعليق الجزاء المذكور بالمحسنين إشعارا بعلِّية الإحسان له. [٣]

وفيما ذُكر بعد هذه الآية مما سيأتي تفصيلُه من صور إحسان سيدنا موسى عليه السلام دليلٌ على ما طُوي.

ومعنى ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾:

كما جزينا موسى على طاعته إيانا، وإحسانِه بصبره على أمرنا، نجزي كلَّ من أحسن من رسلنا وعبادنا، فصبر على أمرنا وأطاعنا، وانتهى عما نهيناه عنه[٤].

وقيل معناه: كما جزينا أمَّ موسى لمَّا استسلمت لأمر الله، وألقت ولدَها في البحر، وصدَّقت بوعد الله، فرددنا ولدها إليها بالتُّحف والطُّرف وهي آمنة، ثم وهبنا له العقلَ والحكمة، كذلك نجزي كلَّ

---

(١) انظر: البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (ط١: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨ه) ج٤، ص١٧٣

(٢) انظر: الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، (ط٣: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ) ج٢٤، ص٥٨٤

(٣) وذلك بما تقرره القاعدة المشهورة " تعليق الحكم على مشتق يُشعر بعلِّيَّة ما منه الاشتقاق".

(٤) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (ط١: دار هجر، ١٤٢٢ه) ج١٨، ص١٨٢

محسِن[1].

وقيل معناه: كما جزينا موسى على إحسانه وجهدِه في طلب العلم بأن أعطيناه ذلك، كذلك نجزي من ذُكر، كقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩][2]

نستنبط من كلام المفسرين في هذه الآية الكريمة ثلاثةَ دروس نافعةٍ للشباب:

١- أن صلاح َالظاهر والباطن يفتح على صاحبه أبوابَ الخير والبركة، ويشرحُ صدرَه للعلم والحكمة، فقد جرت سنةُ الله تعالى في خلقه بأن الإمامةَ الدينية والدنيوية لا تُنال إلا بالصلاح والصبر واليقين، نجد هذا المعنى في قوله تعالى في بني إسرائيل: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة:٢٤]

لما كانوا من الصابرينَ في الله –على طاعتِه وامتثالِ أمره وعلى ما لحِقهم في ذاته تعالى من الأذى والعداوة والظلم–، الموقنين بآياته ووعده، بوَّأهم الله إمامةَ الناس في زمانهم، فكانوا الهداةَ بأمره، يُسترشَد بهم، ويُقتدى بمكانهم.

قال الإمام النسفي: وفيه دليلٌ على أن الصبرَ ثمرتَه إمامةُ الناس[3].

وفيهم قال تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ ﴾ أي ملوكًا، قادةً في الخير ودعاة إليه ﴿وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص:٥] ملكَ فرعون، يرثونه، ويسكنون مساكنَ القبط بعد هلاكهم، قال الإمام القرطبي: وهذا معنى قوله تعالى ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ

(١) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (ط٢: دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ) ج١٣، ص٢٥٩.

(٢) انظر: الماتريدي، محمد بن محمد، تأويلات أهل السنة، ت: د. مجدي باسلوم، (ط١: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ) ج٨، ص١٥٥.

(٣) النسفي، عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ت: مروان محمد الشعار، (ط٣: دار النفائس، بيروت، لبنان، ١٤٣٥ه) ج٢، ص٤٢٢ .

بِمَا صَبَرُواْ ﴾ [الأعراف:١٣٧][(١)]

ويقول تعالى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف:١٢٨، القصص:٨٣]

وهذه -كما يقول محمد طنطاوي- سنةٌ من سنن الله تعالى التي لا تتخلف[(٢)]، حكمت بمقتضاها أمُّنا السيدة خديجة رضي الله عنها لما جاءها النبيُّ صلى الله عليه وسلم بعد نزول جبريل عليه السلام عليه في غار حراء يقول: "زملوني زملوني"، فلما ذهب عنه الروع قال: " أي خديجة، مالي، لقد خشيتُ على نفسي" ثم أخبرها رضي الله عنها الخبر" فقالت: "كلا، أبشر فوالله لا يُخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدُق الحديث، وتَحمِل الكل، وتكسِب المعدومَ، وتقري الضيف، وتعينُ على نوائب الحق"[(٣)]

ولا نكادُ نطَّلع على سيرة من سير علمائنا الأفذاذ الذين بلغوا شأنا عظيما في العلم والرياسة، إلا ونجد الزهد والتقوى والورع وصلاح العمل والمسارعة في الله من أبرز ما وُصفوا به، وهذا ظاهرٌ لا يكاد يخفى على مطَّلع.

قال الزجاج: جعل الله تعالى إيتاء العلم والحكمة مجازاةً على الإحسان؛ لأنهما يؤديان إلى الجنة التي هي جزاء المحسنين[(٤)].

٢- أن التصديقَ بخبر الله تعالى، والاستسلامَ لأمره، واليقين بوعده، حسنُ العواقب محمودُ النتائج ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء:٨٧]، ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:١١١]

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٣، ص٢٤٩.

(٢) طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (ط١: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨) ج١٠، ص٣٨٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، (ط١: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ)، كتاب تفسير القرآن، باب سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق، ج٦، ص١٧٣ (ح٤٩٥٣)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، ت: عبد الجليل عبده شلبي، (ط١: عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ) ج٤، ص١٣٦.

٣- أن الاجتهادَ في طلب العلم، والانقطاع له، والعكوف على تحصيله، يوصل صاحبَه إلى نيل مطلوبه منه؛ ذلك أن الجزاء من جنس العمل، والطالبُ المجد يبلغُ بعون الله وتوفيقه، والمجتهد المخلص ينال من بركة العلم ما لا يتيسر لغيره.

ونحن لا ننفك نذكر وصايا أساتذتنا بالعضِّ على نفائس الكتب بالنواجذ، والأخذ بها بقوة، واستفراغ الأنفاس في تحصيل العلم ومدارسته ومراجعته.

كذلك هو دأبهم -حفظهم الله- وكذلك كان دأب أســـاتذتهم ومن فوقهم، وكتبُ التراجم مليئةٌ بسيرهم.

لما دخل سيدنا موسى عليه السلام (المدينة) وهي مدينة معهودة كانت في مصر -حيث نشأ في قصر فرعون- ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ من بني إســـرائيل ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ من مخالفيه من القبط ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ﴾ اســـتنصـــره ﴿ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ ضـــربه بجُمع كفه، أو بأطراف أصـــابعه في صـــدره ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ قتله ﴿قَالَ هَٰذَا﴾ إشـــارة إلى القتل الحاصل من غير قصدٍ، وبغير أمر من الله بقتلٍ ولا قتال ﴿مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي من تسبُّب الشيطان بأن هيَّج غضبي حتى ضربتُه فهلك من ضربتي ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص:١٥]

ثم ندِم موسى عليه السلام على ما كان من قتلِه النفسَ التي قتلها، وتاب إلى الله، وسأله غفرانَه من ذلك ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ بقتل النفسِ التي لم تأمرني بقتلها، ﴿فَٱغْفِرْ لِى﴾ اعفُ عن ذنبي ذلك، واســـتره عليّ، ولا تؤاخذني به فتعاقبَني عليه.

فعفا الله عز وجل لموسى عن ذنبه ولم يعاقبه به ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ (١) إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص:١٦]

ثم قال عليه الســـلام لربه معاهدا: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصـــص:١٧] ربِّ بإنعامك عليّ بعفوِك عن قتل هذه النفس، أو بما أنعمت عليَّ من قوة، فلن أُعين بعدها ظالمًا على

(١) إن كان هذا قبل النبوة -على ما هو الأصح من أقوال المفسرين- فمعرفتُه أنه غفر له بإلهام أو رؤيا.

فُجره، كأنه أقسم بذلك[١]

نستنبط مما وقع لسيدنا موسى عليه السلام في هذه الحادثة ما يلي:

١- أن نصـرَ المظلوم واجبٌ، قال الإمام القرطبي: وإنما أغاثَه؛ لأن نصـر المظلوم دِينٌ في الملل كلها على الأمم، وفرضٌ في جميع الشرائع[٢].

وهو من حق المسلم على المسلم، عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: "أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بسبعٍ، ونهانا عن سبع، فذكر عيادةَ المريض، واتباعَ الجنائز، وتشميتَ العاطس، وردَّ السلام، ونصرَ المظلوم، وإجابةَ الداعي، وإبرارَ القسم"[٣]

٢- الرجوعُ إلى الله تعالى والتوبة إليه وسؤاله المغفرةَ فورَ وقوع الذنب أو المخالفة - وإن وقع عن طريق الخطأ- فإنه دأب الأنبياء[٤] والصالحين، وهو مظِنة العفو، قال قتادة: عرَف والله المخرَج

(١) على تقدير جواب القسم "لأتوبنَّ" انظر في تفسير الآيات: النسفي، مدارك التنزيل، ج٢، ص٣٣٢،٣٣٣، الطبري، جامع البيان، ج١٨، ص١٩٠-١٩٢.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٣، ص٢٦٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب نصر المظلوم، ج٣، ص١٢٩ (ح٢٤٤٥) عن البراء بن عازب رضي الله عنهما.

(٤) قال الإمام الآلوسي: ولا يُشكِل ذلك على القولِ بأن الأنبياءَ عليهم السلام معصومون عن الكبائر بعد النبوة وقبلَها؛ لأن أصلَ الوكز من الصغائر وما وقعَ من القتل كان خطأً كما نُقل، والخطأ وإن كان لا يخلو عن الإثمِ ولذا شُرعت فيه الكفارة إلا أنه صغيرةٌ أيضا، بل قيل: لا يشكل أيضا على القول بعِصمتهم عن الكبائر والصغائر مطلقًا؛ لجواز أن يكون عليه السلام قد رأى أن في الوكز دفعَ ظالم عن مظلوم ففعلَه غيرَ قاصدٍ به القتل، وإنما وقع مترتبًا عليه لا عن قصد، وكأنه عليه السلام بعد أن وقعَ منه ما وقعَ تأمل، فظهرَ له إمكانُ الدفع بغير الوكز وأنه لم يتثبت في رأيه لما اعتراه من الغضب، فعلم أنه فعلَ خلاف الأولى بالنسبةِ إلى أمثاله، فقال ما قال على عادة المقرَّبين في استعظامهم خلافَ الأولى. الآلوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، (ط١: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ) ج١٠، ص٢٦٤.

فاستغفر[1].

٣- من شكر الله تعالى على نعمه سؤالُه العصمةَ عن استعمالها فيما لا يكون من مرضاته، والحرصُ على استثمارها في طاعته، فإن في ذلك زيادتُها وبركتها ورضا المُنعِم بها سبحانه وتعالى، ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم:٧]

٤- تعليق العزم المستقبل -الذي يُشك فيه ويرتاب- بالمشيئة من أدب المؤمن، وبه يتم له مقصودُه، ويُرفع عنه ما يعيقه في أمره.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن موسى عليه السلام لم يستثن -يعني لم يقل: فلن أكون إن شاء الله...- فابتُلي به مرة أخرى، وذلك قوله: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ [القصص:١٨][2]

وقد نهى الله تعالى نبيَّه عن تجريدِ كلامِه في ذلك من التعليق بالمشيئة، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [سورة الكهف:٢٣،٢٤]

٥- في نسبة سيدنا موسى عليه السلام قتلَ القبطي إلى عملِ الشيطان دليلٌ على أن الأصلَ في النفس الإنسانية هو الخير، وأنه الفطرة، وأن الانحرافَ عنها يحتاج إلى سببٍ غير فطري وهو تخلُّل نزغِ الشيطان في النفس[3]، وفي الحديث: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة"[4]

فالإنسانُ متى سلِم من وسوسة الشيطان خلَصت له نفسُه، ومن هنا كان محتاجًا إلى الاستعاذة بالله من شره وشر وسوسته، وإلى التحصُّن عن شروره بالأذكار الواردة في الكتاب والسنة، ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ

---

(١) أخرجه الإمام الطبري في تفسيره بلفظ مشابه، ج١٨، ص١٩١.

(٢) ذكره الإمام البيضاوي في تفسيره، ج٤، ص١٧٤، وأخرج الطبري في معناه عن قتادة، جامع البيان، ج١٨، ص١٩١،١٩٢.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٠، ص٩٠.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يُصلَّى عليه؟ وهل يُعرض على الصبي الإسلام، ج٢، ص٩٥ (ح ١٣٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ثم يقول أبو هريرة: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ [المؤمنون:٩٧،٩٨]

والإنسان متى كان أصلُه الخير، كان قبولُه له أسرع، ورسوخُه فيه أرجى، ومن ثمَّ كان على المُربِّين أن يُعوِّلوا على الفطرة السليمة، وأن يتعهدوا النشء بغرس خصال الخير.

ثم كان على الشباب أن يأخذوا بأيدي أنفسِهم وأيدي إخوانِهم فيورِدوها مواردَ المعروفِ والصلة، يعينُوها إذا ذكرَت، ويذكِّروها إذا نَست، ويعلِّموها إذا جهِلت.

ولما شاع أمرُ قتل القبطي، أصبح سيدُنا موسى عليه السلام ﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص:١٨] يترقب الأخبارَ، خائفا أن يُؤخذ، ثم انكشف أمرُه عليه السلام، وجاءه رجلٌ ﴿مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ﴾ وهم أولي الأمرِ من أهل دولة فرعون ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القصص].

وفي هاتين الآيتين:

١- أن الخوفَ قد يكونُ من دون الله، وأنه يجوز أن يُخاف من غيره تعالى، وحقيقةُ الخوف - في تلك الحالة- تكون من اللهِ أن ينتقم منه على يدي هذا أو ذاك(١).

فإذا خُوِّف المؤمنُ من بطشٍ أو شرٍّ يُراد به ولم يكن بحيثُ يستطيع التصدِّي له، فالمشروع في حقه هو الخروج عن الموضع الذي يتوقعُ فيه الضرَّ إلى مكانٍ يأمنُ فيه على نفسه، وأن يأخذ الحيطةَ والحذر، ويتخفَّى ما أمكن، ويسألَ الله السلامة، كما فعل سيدنا موسى عليه السلام، وكما فعلَ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في هجرته من مكة إلى المدينة حين أمرت قريش بقتله.

يقول البوطي: ذلك أن الله عز وجل أقامَ شريعتَه في هذه الدنيا على مقتضى الأسبابِ ومسبَّباتها - فالخروج سبب الأمن-، ... والإيمانُ بالله لا يُنافي استعمال الأسباب المادية التي أراد الله بحكمته أن يجعلها أسبابا(٢).

(١) انظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج٨، ص١٥٩.

(٢) البوطي، محمد سعيد، فقه السيرة النبوية، (ط٢٥: دار الفكر، دمشق، ١٤٢٦هـ) ص١٣٨ .

فلا يُحمد في حقه –والحالةُ هذه– أن يُواجهَ ما لا قدرةَ له على دفعه، وأن يُلقي بنفسه إلى التهلكة.

٢- يُستنبَط من خبرِ الرجلِ الذي سارع إلى موسى عليه السلام بالخبر قبل أن يصلَ إليه أصحابُ الأمر أن الله سبحانه يرعى عبادَه الصالحين ويكلؤهم بحفظه، ويهيئ لهم ما به نجاتهم من الشرور والأخطار.

٣- الالتجاءُ إلى الله تعالى وقتَ الحَيرة، وسؤاله الهدايةَ والدلالة، مع الثقة واليقين.

فإن موسى عليه السلام سأل ربَّه وهو خارجٌ من مصر خائفًا حائرًا، لا يدري أين يتوجَّه ولا إلى أين يذهب- سألَه أن يهديَه الطريقَ الموصلةَ إلى المقصود ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص:٢٢] وكذا وقع، فقد أوصلَه إلى مقصودٍ وأيِّ مقصود[1].

لما وصلَ سيدُنا موسى عليه السلام مدين، وردَ البئر الذي يستقي منه أهلُها، فوجد عليه ﴿أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ﴾ مواشيَهم ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ في مكانٍ غير المكان الذي حولَ الماء، أي في جانب مُباعدٍ للأمة من الناس ﴿ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ﴾ تطردان غنمَهما عن الماء؛ لأن على الماءِ من هو أقوى منهما فلا تتمكنان من السقي، أو لئلا تختلطَ أغنامُهما بأغنامهم، أو لأنهما تستحيان من مزاحمة الرجال والاختلاطِ بهم ﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ﴾ ما شأنكما؟ ﴿قَالَتَا لَا نَسۡقِي﴾ غنمَنا ﴿حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ﴾ مواشيَهم ﴿وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾ في السن، لا يقدرُ على الورود وعلى السُقيا، أظهرتا له عذرَهما في تولِّيهما السقي بأنفسهما.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ فسقى غنمَهما لأجلهما رحمةً بهما ورغبةً في المعروف وإغاثةً للملهوف.

﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ ولما طال البلاءُ عليه أنِس بالشكوى إلى مولاه، ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ﴾ "ما" نكرة موصوفة، والمعنى: لأي[2] شيء ﴿أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ﴾ قليلٍ أو كثير، غثٍّ أو سمين ﴿فَقِيرٞ﴾ محتاج. [القصص:٢٣، ٢٤]

---

(١) انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، قصص الأنبياء، ت: مصطفى عبد الواحد، (ط٣: مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة،١٤٠٨ه) ج٢، ص٣٥٧.

(٢) قال "لأي" لأن التنكير في "خير" للشيوع، و"من" للبيان.

وقيل: "ما" موصــولة، والمعنى: للذي أنزلت إليَّ من خير فقير، أي: محتاجٍ لنوع الخير الذي أنزلت إلي فيما مضى(١)، أي إلى أمثالِه، فتكون جملةً جامعةً للشكر والثناء والدعاء(٢).

وفي هذا الفصل من القصة:

١ – الشــبابُ لقوَّتهم ووفورِ طاقتهم هم أولى الناسِ بإعانة المحتاج وإقالةِ العاثر، بل والمســارعةِ في ذلك، وبعث الهمم في سبيله، تقربًا إلى الله تعالى بأحب الأعمال إليه، وطلبا للمقابِل الموعودِ به في قوله عليه الصــلاة والســلام: "ومن كان في حاجة أخيه كان اللهُ في حاجته"(٣)، والأحاديثُ في هذا المعنى مستفيضة.

قال الإمام الزمخشــري: والمعنى أنه وصــل إلى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه أمةٌ من أناسٍ مختلفةٍ متكاثفة العدد، ورأى الضــعيفَتين من ورائهم مع غُنيمتهما مترقِّبتين لفراغهم، فما أخطأت همَّته في دين الله تلك الفرصــة، مع ما كان به من النصَــب والجوع، ولكنه رحِمَهما فأغاثهما، وكفاهُما أمرَ الســقي في مثل تلك الزحمة بقوَّةِ قلبه وقوِّة ساعده، وما آتاه الله من متانَةِ الفطرة ورصانةِ الجبلَّة.

وفيه – أي في قصِّ خبرِه– ترغيبٌ في الخير، وانتهازِ فرَصِــه، وبعثٌ على الاقتداء في ذلك بالصــالحين والأخذ بسِيَرهم ومذاهبهم(٤)

فقولُ الزمخشري رحمه الله "فما أخطأت همَّته في دين الله تلك الفرصة" يُنبئ عن الباعث لسيدنا موسى عليه الســلام على هذا الفعل، وهو محلُّ الفائدة، فصــاحبُ الهمَّة في دين الله يتحرّى الفرص ليبذل من

---

(١) ومن الخير: إنجاؤه من القتل، وتخليصــه من تبعة قتل القبطي، وإيصــاله إلى أرض معمورة بأمة عظيمة بعد أن قطع فيافي ومفازات.

(٢) النســفي، مدارك التنزيل، ج٢، ص٣٣٥، ابن عاشــور، التحرير والتنوير، ج٢٠، ص٩٩،١٠٢، الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج٨، ص١٦٠.

(٣) أخرجه البخاري في صــحيحه، كتاب المظالم والغصــب، باب لا يظلم المســلم المســلم ولا يســلمه، ج٣، ص١٢٨ (ح٢٤٤٢) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (ط٣: دار الكتاب العربي، بيروت،١٤٠٧هـ) ج٣، ص٤٠١.

نفســه وجهده وماله في سـبيل الله، وإن كان محتاجًا لعينِ المعروف الذي يبذله ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان:٨]، ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ﴾ [الحشر:٩].

٢- الشكوى إلى الله تعالى عند اشتدادِ الحال، والركونُ إليه، والتضرُّع إليه، من شأن الأنبياء وأتباعهم، والملتجئُ إلى الله تعالى ما أسـرع أن يُجاب، والمسـتغيثُ به ما أقرب أن يُغاث، ألا ترى إلى سـرعة ما أجاب الله موسى عليه السلام ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا﴾ [القصص: ٢٥] "وهو لم يزُل عن مكانِه في الظل"(١)، فالفاء بدلالتها على التعقيب تؤذِن بأن أبا المرأتين لم يتريَّث في الإرسـالِ وراء موسـى عليه السـلام ليُضـيفَه ويزوِّجه ابنته، وأحسـنُ خير للغريب أن يجد مأوى له يطعَم فيه ويبيت، وزوجَةً يأنسُ إليها ويسكُن(٢).

٣- تقديمُ الشـكرِ على النِعَم والثناءِ على المُنعِم بين يدي الدعاء من الأدبِ المأمورِ به، ففي الحديث: "إذا صـلَّى أحدُكم فليبدَأ بتحميدِ الله والثناءِ عليه، ثم ليصـلِّ على النبي صـلى الله عليه وسـلم، ثم ليدعُ بعدُ بما شاء" (٣)، وهو أرجى لبلوغِ المطلوب، وتحقيق المسؤول.

ولما رأت ابنةُ الرجل الصالح ما رأت من خلُق سيدنا موسى عليه السلام، وشهدت ما أخذ به نفسه من البرِّ والأمانة، قالت لأبيها لما رجعت إليه: ﴿يَـٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦] فقد كان عليه السلام أمينًا على العرض، أمينًا على المال.

وتظهر أمانتُه كذلك في قوله حين عاهده الرجل الصـالح على أن يرعى الغنم في مقابل تزويجه بابنته، فقال عليه السـلام قبولًا لذلك: ﴿ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ﴾ [القصص:٢٨] .

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٠، ص١٠٣ .

(٢) انظر: المصدر السابق نفسه.

(٣) رواه الترمذي في سـننه، ت: أحمد محمد شـاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، (ط٢: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصـر، ١٣٩٥هـ)، أبواب الدعوات، باب جامع الدعوات عن النبي صـلى الله عليه وسـلم، ج٥، ص٥١٧ (ح ٣٤٧٧)، عن فضالة بن عبيد، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

أي ذلك الذي قلتَه وعاهدتني فيه وشـــارطتَني عليه قائمٌ بيننا جميعًا لا يخرجُ كلانا عنه، لا أنا فيما شــرطتَ عليّ، ولا أنت فيما شــرطتَ على نفســك، وقد وفّى عليه الســلام بما التزم ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ﴾ الآية[(١)] [القصص:٢٩]

والدرسُ من هذا الفصل بالغُ الأهمية، فإن الأمانة خلق سني، وهي من أخص الفضائل التي تُحفظ بها الواجبات وتُصان بها الحرمات، وقد جعلها النبيُّ صـلى الله عليه وسـلم من دلائلِ الإيمان فقال: "لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له"[(٢)]، ووصف اللهُ بها المؤمنين، فقال ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [المؤمنون:١] وذكر من أوصافِهم ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون:٨]

ولا يخفى ما لغيابِ الأمانة من هدمٍ لمفهوم التعايشِ بين الناس، ومن ضـــياعٍ لقيم إنســانية ومجتمعية عليا، ومن انحطاطٍ للإنسانية في شتى صورها، ومن ثم كانت من أهم الأخلاق التي يحتاج الشباب إلى تمثلها.

ثم كان بعد ذلك خروجُ سيدنا موسى عليه السلام من مدينَ عائدا إلى أرض مصر، ووقع له التنبيء في رحلته كما حكى القرآن الكريم، ولا يخفى أن ما سبق ذكره من أحوالِ سيدنا موسى عليه السلام مما هو من فضائلِ الأعمال ومناقبِ أهل الكمال إنما كان تهييئًا من الله لتلقي الرسالة.

مرحلة ما بعد التنبيء:

أذكر من هذه المرحلة حلقتين ذكرت إحداهما في سورة الأعراف، والأخرى في سورة الكهف، تنطويان على فوائد غنية لا يحسُن بذي اللب إغفالُها:

الحلقة الأولى: موقف سـيدنا موسـى عليه السـلام مع أخيه هارون حين رجعَ من موعدِه مع ربِّه فوجد قومَه عاكفين على عبادة العجل – وقد كان استخلفَه عليهم مدة غيابه–.

---

(١) انظر: النسفي، مدارك التنزيل، ج٢، ص٣٣٨.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ت: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (ط١: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ)، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، ج١٩، ص٣٧٦، (ح ١٢٣٨٣) وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه عليه: حديث حسن.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا﴾ حزينًا ﴿قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓ﴾ حيث عبدتم العجلَ ﴿أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡ﴾ أي إتياني لكم بالتوراة ﴿وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ﴾ التي كُتبت فيها التوراة ﴿وَأَخَذَ بِرَأۡسِ﴾ بشعرِ رأسه ﴿أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِ﴾ عتابًا عليه لا هوانًا به ﴿قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي﴾ أي إني لم آلُ جهدًا في كفِّهم بالوعظ والإنذار ولكنهم استضعفوني وهمُّوا بقتلي ﴿فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ﴾ لا تفعل بي ما هو أمنيتهم من الاستهانة بي والإساءةِ إلي ﴿وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي﴾ ليُرضي أخاه وينفي عنه الشماتةَ بإشراكه معه في الدعاء، والمعنى: اغفر لي ما فرَط مني في حق أخي، ولأخي إن كان فرَّط في حسن الخلافة ﴿وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠-١٥١](١)

وفيها:

١- أن المذنِب إذا تبيَّن له خطؤه رجع واستغفر لنفسه ولغيره ممن طالَه ذنبُه.

وهذا الدرس الإيماني - وما سبقه من الدروس المماثلة كالثقة بالله والالتجاء إليه وقت الحاجة وغيرها- وإن بدت من المعلومات بالضرورة لعامة الشباب، إلا أنها مما يُغفل عن تطبيقه في مظانه، وهي بالغة الأهمية، فإنها تحدد علاقة المؤمن بربه، وتربطه به في غدوِّه ورواحه، وهي سبيل الطمأنينة والهداية والكفاية، ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [فصلت:٣٥]

٢- أن الرجل يستعين بمن يُعينه في أمره ممن هو من أهل الثقةِ والأمانة، حيث استخلف سيدُنا موسى عليه السلام أخاه هارون في القيام مقامَه وقت غيابِه عن قومه ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف:١٤٢]، ونجد أنه عليه السلام لما أرسله الله إلى بني إسرائيل سأله تعالى أن يبعث معه أخاه هارون ناصرا ومصدِّقا ومعينا ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي (٢٩) هَٰرُونَ أَخِي (٣٠) ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي (٣١) وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي (٣٢)﴾ [طه] .

---

(١) انظر: النسفي، مدارك التنزيل، ج١، ص١١٤،١١٥.

الحلقة الثانية : قصة سيدنا موسى عليه السلام والخضر:

تمثل هذه القصة لبِنة في منهج رباني أراده الله بهذه الأمة[١]، ذلك أن سيدنا موسى عليه السلام – وقد كان نبيَّ ذلك الزمان، وكان قد أوتي التوراة– لما أوحى الله إليه أنَّ في الأرض من هو أعلمُ منه، ووعدَه بلقائه، وعرَّفه علامة ذلك[٢]، عقد عزمَه على الرحلةِ الطويلة حتى يلقاه فيأخُذَ عنه العلم، فقال لفتاه الذي كان يصحبُه: ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾ [الكهف:٦٠] أي لا أزال أمضي حتى أبلغ مجمَع البحرين – وهو المكان الذي وُعد فيه بلقاءِ الخَضر– أو أسير دهرًا طويلا حتى أجدَ هذا العالم.

وهذا إخبارٌ من موسى عليه السلام أنه وطَّن نفسه على تحمل التَّعب الشديد والعناءِ العظيم في السفر لأجل طلب العلم.

ولما بلغ عليه السلام الموضعَ، ولقيَ الخضر، قال له فيما حكاه الله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ [الكهف:٦٦] أي علما ذا رشد أرشُد به في ديني.

فسأله – وهو من أجِلَّة الأنبياء– أن يأذنَ له بمصاحبته في رحلته؛ طالبًا لعلمه ملتمِسا به سبيل رُشد.

قال الإمام الطاهر بن عاشور: وإنما رام موسى أن يعلمَ شيئا من العلم الذي خصَّ الله به الخضر، لأن الازدياد من العلوم النافعة هو من الخير، وقد قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه:١١٤][٣]

---

(١) انظر: عباس، فضل حسن، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، (ط١: دار الفرقان، عمان، الأردن، ١٤٠٧هـ) ص٣١٧

(٢) ففي صحيح البخاري من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل، فسُئل: أيُّ الناس أعلم؟، فقال: أنا، فعتَب اللهُ عليه إذ لم يردَّ العلم إليه، فأوحى الله إليه: إن لي عبدًا بمجمَع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب فكيف لي به؟، قال: تأخذُ معك حوتا فتجعلُه في مَكتل، فحيثما فقدتَ الحوت فهو..." الحديث، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴾، ج٦، ص٨٨ (ح ٤٧٢٥).

(٣) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٥، ص٣٧١ .

فأجابه الخضـــر بقوله: ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ [الكهف:٦٧] وعلَّل ذلك بأنه يتولى أمورا هي في ظاهرها مناكير، والرجل الصـــالح لا يتمالك أن يجزع إذا رأى ذلك، فكيف إذا كان نبيا؟، فما كان من ســيدنا موســى عليه الســلام إلا أن قال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا﴾ من الصـــابرين عن الإنكار والإعراض وإن كان خلافًا لما هو عندي صـــواب ﴿وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾ [الكهف:٦٩] أطيعُك وأنتهي إلى ما تأمرني[١].

نأخذ من قوله عليه السـلام أنَّ من أدبِ المتعلِّم مع أسـتاذه أن يأخذ نفسـه بطاعته، والصـبر فيما لم ينته إليه علمُه -أي الطالب- حتى يكون أســتاذُه هو الذي يفتحُ عليه، حتى لا يُضــجر أســتاذَه فيُحرَمَ العلمَ والمصاحبة[٢].

وإنما كان ما سـأله موسـى عليه السـلام في قوله حين خرَق الخضـر السـفينة: ﴿أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا﴾ [الكهف: ٧١] نســيانا للعهد[٣]؛ فإنه لم يملِك نفسَــه حزنًا وغضــبا على ما رأى من المنكر، وهذا يُنبئُ عمَّا كان يتصفُ به سيدنا موسى عليه السلام من قوَّة في الحق، فما كان غضبُه إلا لله، وهذه مرتبة جليلة.

وإنما يكون هذا الذي ذكرناه – من صـبرِ المتعلم فيما يراه من أسـتاذه- في حال الثقةِ بعلم الأسـتاذ، فإن موســى عليه الســلام كان على ثقةٍ بعصـــمة متبوعه؛ لأن الله أخبره بأنه آتاه علما، وإلا فكما قال الإمام الماتريدي حين اســتنبط من الآية الكريمة أنَّ الرجلَ إذا اختلف إلى عالم يقتبس منه العلم فرأى منه مناكيرَ ومظالمَ لزِمه أن يفارقَه ولا يتعلم منه العلم[٤]

(١) انظر: النسفي، مدارك التنزيل، ج٢، ص٣٥.

(٢) ينظر في هذا المعنى: الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢١، ص٤٨٤.

(٣) ففي حديث أبي بن كعب عند البخاري، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وكانت الأولى من موسى نسيانا"، كتاب تفسـير القرآن، باب ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾، ج٦، ص٨٨ (ح ٤٧٢٥).

(٤) الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج٧، ص١٩٣ .

وفي هذه القصة من الفوائد –غير ما ذُكر-:

١- أنه لا ينبغي لأحدٍ أن يترك طلبَ العلم وإن كان قد بلغَ نهايته، وأحاطَ بأكثرَ ما يدركه أهلُ زمانه[١].

٢- ألا يُعجبَ المرءُ بعلمه، فإن النبيَّ لم يسع علمُه المعلوم فكيف بمن هو دونَه، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء:٨٥]، والعالمُ الحق خبيرٌ بجهله، ولا يكون المعجَبُ إلا مغرورا.

٣- أنه يلزم الإنسانَ طلبُ العلم واقتباسُه إذا كان به وبالناس حاجةٌ إليه، وإن بعُدت الشُقَّة ونأى الموضع، فلو سافر من المشرق إلى المغرب لطلب مسألة واحدة لحقَّ له ذلك[٢].

٤- اختيار الرفيقِ في السفر، فيختارُ الصاحبَ الذي يألفه ويأنس إليه ليستعينَ به في سفره وفي أمر دينه ودنياه، انظر إلى اختيار النبي صلى الله عليه وسلم صاحبَه أبا بكر رضي الله عنه ليكون رفيقا له في هجرته.

والحياة الدنيا في حقيقتها رحلة، والحي بها مسافر، ما أحوجه إلى رفيق صالح يقطع معه وعثاء السفر وعناء الارتحال، ويأخذ بيده إلى الغاية المرضية ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ٣] ولا يكون التواصي في حال الانفراد، والجماعةُ أقربُ إلى الحق والصواب من الفرد بنفسه، وقد كان بعضُ السلف إذا نزل أرضا جديدة قال: اللهم يسِّر لي جليسا صالحا.

٥- من حق المعلِّم على المتعلِّم اتباعُه والاقتداءُ به، فإن العلماءَ ورثةُ الأنبياء، وهم الأدلَّاءُ على الله.

٦- أن يُخبِر طالبُ العلم أستاذَه بصبره على العلم؛ فإنه أرجى لإقبال أستاذه عليه.

٧- التواضعُ للمعلم والتذلل له، ومراعاةُ الأدب في المقابل، فإنه من أجدى سمات الطالب وأنفعِها له. والمتتبعُ لوجوه أدب سيدنا موسى عليه السلام مع معلِّمه الخضر من خلال ما حكى القرآن الكريم يجد عجبًا، ومبالغةً في التنبه لذلك والاحتياط له، ووقوفًا بالنفس على ما ينبغي لها في مقام التعلُّم، وتحرِّيًا لأنواعِ اللطف والتوقير في القول والفعل، فمن ذلك على ما ذكره الإمام الرازي ما يلي:

---

(١) انظر: النسفي، مدارك التنزيل، ج٢، ص٣٥

(٢) انظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج٧، ص١٩٢

- أنه عليه السلام جعل نفسه تبَعًا لمعلِّمه، لأنه قال ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ﴾.
- أنه اســتأذن في إثبات هذه التبعية، كأنه قال: هل تأذنُ لي أن أجعلَ نفســي تبعًا لك، وهذا مبالغة عظيمةٌ في التواضع.
- أنه قال ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾ وهذا إقرارٌ منه على نفسه بالجهل، وعلى أستاذه بالعلم.
- أنه قال ﴿مِمَّا عُلِّمۡتَ﴾ وصــيغة "من" للتبعيض، فطلب منه تعليمَ بعض ما علمه الله، وهذا أيضــا مشعر بالتواضع كأنه يقول له: لا أطلبُ منك أن تجعلني مساويًا في العلم لك، بل أطلبُ منك أن تعطيَني جزءًا من أجزاء علمك، كما يطلبُ الفقير من الغني أن يدفعَ إليه جزءًا من أجزاء ماله.
- أن قوله ﴿مِمَّا عُلِّمۡتَ﴾ اعترافٌ بأن الله علَّمه ذلك العلم.
- أن قوله ﴿رُشۡدٗا﴾ طلبٌ منه للإرشاد والهداية، والإرشاد هو الأمر الذي لو لم يحصل لحصلت الغواية والضلال، يعني أنه طلب منه أن ينقذَه بعلمِه من الضلال.
- أن قوله ﴿تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ﴾ معناه أنه طلب منه أن يعاملَه بمثل ما عاملَه الله، وفيه إشــعارٌ بأنه يكون إنعامُك عليَّ عند هذا التعليم شــبيهًا بإنعام الله عليكَ في هذا التعليم، ولهذا المعنى قيل: مَن علمني حرفا صرتُ له عبدا. وهذا معنى بديع.
- أن المتابعةَ عبارةٌ عن الإتيانِ بمثل فعل الغير لأجل كونه فعلًا لذلك الغير، فقوله ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ﴾ يدل على أنه يأتي بمثل أفعال الأســتاذِ لمجرد كون الأســتاذ آتيًا بها، وهذا يدل على أن المتعلمَ يجب عليه في أول الأمر التسليمُ وتركُ المنازعة والاعتراض.
- أن قوله ﴿أَتَّبِعُكَ﴾ يدل على طلب متابعته مطلقا في جميع الأمور غيرَ مقيد بشيء دون شيء.
- أنه عليه الســلام مع ما هو فيه من المناصِــب الرفيعة والدرجات العالية الشــريفة أتى بهذه الأنواع الكثيرة من التواضــع، وذلك يدل على كونه عليه الســلام آتيا في طلب العلم بأعظمِ أنواع المبالغة، وهذا هو اللائقُ به؛ لأن كلَّ من كانت إحاطتُه بالعلوم أكثرَ كان علمُه بما فيها من البهجة والسعادة أكثر، فكان طلبُه لها أشد، وكان تعظيمُه لأرباب العلم أكمل.

- أنه قال ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾ فأثبت كونَه تبعا له أولًا، ثم طلب ثانيا أن يعلِّمه، وهذا منه ابتداءٌ بالخدمة، ثم في المرتبة الثانية طلبَ منه التعليم.
- أنه قال ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾ فلم يطلُب على تلك المتابعة على التعليم شيئا، كأنه قال: لا أطلبُ منك على هذه المتابعةِ المالَ والجاهَ ولا غرض لي إلا طلب العلم.(١)

وهذه مع التأمل مرتبةٌ عالية، ومنزلةٌ شريفة للطالب، فإنه عليه السلام بذل نفسه وجهده وعمره لطلب علمٍ يرشُد به، وبالغَ في إنزال العالِم منزلتَه التي أنزله الله إياها، فإنهم الشهداءُ مع الله وملائكته أنه سبحانه لا إله إلا هو قائما بالقسط(٢)، وهي الشهادة التي من أجلها قامت الأكوان والعوالم، فكانوا أحقاءَ بالخدمة والمتابعة والتوقير، وكان بذلُ المهج والأعمار في سبيل بلوغ مرتبتهم والنيلِ من معين علمهم حقٌّ على من استطاعه ووُفِّق إليه.

٨- ألا يُبادر المرءُ إلى إنكار ما لا يستحسنه، فلعلَّ فيه سرًّا لا يعرفه(٣).

٩- صبرُ الأستاذ على تلميذه، وأن يراعي معه التدرُّجَ في العتاب وفي التعليم، فإن الخضِر لما نسي موسى عليه السلام ما عاهَده عليه في المرة الأولى قال له: ﴿أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ [الكهف:٧٢] وقال في المرة الثانية: ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ [الكهف:٧٥] فزاد ﴿لَّكَ﴾ "زيادة للعتاب على رفض الوصية، ووسمًا بقلة الثبات والصبر لمَّا تكرر منه الاستنكار ولم يرعوِ بالتذكير أولَ مرة"(٤)، ثم لمَّا وقعت الثالثة وتحقق الخضِر من موسى عليه السلام عدمَ صبره قال ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَ﴾ [الكهف:٧٨]

١٠- تنبيهُ المخطئ كلما أخطأ، وإرشادُه إلى الصواب في كل مرة؛ فبذلك يحصل الإعذار.

١١- قبول عذر الناسي، فإنه من خصال الصالحين.

---

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢١، ص٤٨٣، ٤٨٤

(٢) ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ﴾ [آل عمران:١٨]

(٣) البيضاوي، أنوار التنزيل، ج٣، ص٢٩١

(٤) المصدر السابق، ج٣، ص ٢٨٩

١٢- أن المخطئ ينبَّه على خطئه ويُعفى عنه حتى يتحقق إصرارُه ثم يهاجَرُ عنه.

١٣- استفاد العلماء من قول موسى عليه السلام لفتاه لما طال به السفر: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف:٦٢] أي تعبا وجهدا، أنه لا بأس للرجل إذا أصابته مشقةٌ وجهد أن يقول: أصابني كذا، وللمريض أن يقول: بي من المرض كذا، ولا يخرج ذلك مخرج الشكوى والجزع عن الله[١].

١٤- وفي قوله تعالى في قصة الكنز الذي حفظه الله للغلامين: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف:٨٢] دلالةٌ على أن الرجلَ الصالح يُحفظ في ذريته، وأن الأبناءَ ينتفعون بصلاح الآباء.

ولا يقتصر انتفاعُهم بصلاحِ آبائِهم على ما ينالُهم من الحفظ والبركة في الدنيا، بل يُلحقُهم الله بدرجات آبائهم في الجنة، ولو لم يبلغوا أعمالَهم، لتقرَّ بهم أعينُهم، فضلا وكرامة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الطور:٢١]

١٥- التأدب مع الله تعالى، فلا يُنسب إليه الشر ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾[٢].

---

(١) الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج٧، ١٩١.

(٢) يُنظر في بعض هذه النقاط: المنجد، محمد صالح، (٢٨ رمضان ١٤٢٣ه) دروس وعبر من قصة الخضر، (الموقع الرسمي للشيخ محمد صالح المنجد) (https://almunajjid.com/courses/lessons/142).

الخاتمة

استهدف هذا البحث إبرازَ الدروس والفوائد التربوية التي تضمنتها قصة سيدنا موسى عليه السلام في القرآن الكريم؛ قصدًا لمخاطبة الشباب بما لو تمثَّلوه لوجدوا له الأثر في استقامة النفس وسموِّها وبلوغها مراتب الفضيلة والكمال – ومن أكملُ من أنبياء الله ورسله–، ولنالوا به أجلَّ المقاصد من الإمامة الدينية والدنيوية، والظفر بالفلاح في العاقبة.

وقد أسفر البحث عن نتائجَ نافعة، أُجملها فيما يأتي:

١- أن أنبياءَ الله ورسلَه عليهم الصلاة السلام قد هيَّأهم الله بتربيته ليمثِّلوا الكمال البشري في أقصى غاياته، وأمر أتباعَهم بالاقتداء بهم والتأسي بأخلاقهم، فهم أولى الناس بذلك.

٢- أن سيدَنا موسى عليه السلام نبي من أولي العزم، فصَّل الله قصته في القرآن الكريم بما لم يقع لغيره من الأنبياء، ومعلومٌ أن الله تعالى إنما فصَّل ما فصَّل لما فيه من العبرة والفائدة ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[يوسف:١١١]، ثم إنه سبحانه ندَبنا للتدبر والتأمل في آياته للوقوف على هذه الفوائد والانتفاع بها.

٣- سلَّط القرآنُ الكريم أثناءَ عرضه لقصةِ سيدنا موسى عليه السلامُ الضوءَ على جوانبِ شخصيته، فأظهر الجوانبَ البشريَّة في شخصِه عليه السلام، كما أظهرَ الجوانبَ التربوية الإلهية، فنجدُه عليه السلام غضوبًا، ونجده خائفًا، ونجده حائرًا، ونجده محتاجًا، ونجده ناسيًا، ونجده غافلًا، ففي غضبِه وكَزَ عدوَّه فقضَى عليه، وفي غضبه ألقى الألواحَ ﴿وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِ﴾ [الأعراف:١٥٠]، وفي خوفه سارَ مُترقِّبًا، وخرج هاربًا، وفي خوفِه استنصر بأخيه هارون ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ١٢ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ١٣ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ١٤﴾ [الشعراء]، وفي حَيرته لم يدرِ أين يتَّجه في خروجه من مدين، وفي حاجته لجأَ إلى الظل واستشعرَ الافتقار، وفي نسيانِه خرقَ عهده مع معلمه واعترضَ بعد أن وعد بالصبر، وفي غفلتِه تركَ الاستثناءَ في قسَمِه وعزمه.

وهذا الإبرازُ القرآنيُ للجوانب البشرية في شخصِه الكريم يقرِّب مقامَ النبوة المعصومة من مفهوم

الاقتداء، فالواحدُ منا يجدُ في نفسه ما وجده موسى عليه السلامُ في نفسه في المواقف المختلفة، ويصدرُ منه ما صدرَ منه عليه السلام، فإذا قرأ القرآن الكريم شعرَ بقربِ شخصِ النبي من شخصه، فكان أشدَّ إقبالًا على الاقتداءِ به فيما عُرض بعد هذه المواقفِ من مظاهرِ الصبر والإحسان، حيثُ نجدُ أنه عليه السلام بعد سكونِ غضبِه رجعَ واستغفرَ وأقسم ألا يعود إلى مثل فعلِه شكرًا للمُعطي على عطائه ومغفرته، وفي خوفِه لمَّا وجَد من ربه الحفظ والنصرة ﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء:١٥] أيقنَ بأن الله لا يُسلِمُه فلم يقعْ له ذلك الخوفُ حين وقع بعدُ لقومه ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء:٦١] بل قالَ مقولةَ الواثقِ بربِّه، المعتادِ عوائدَه: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٦٢]، وفي حَيرته استهدَى ربه سواءَ السبيل فهداه، وفي حاجَته رفع شكواه إلى مولاه فكفَاه، وفي نسيانِه اعتذرَ واستعفى ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف:٧٣]، وفي غفلته عن الاستثناء لمَّا وقع له الابتلاء بسببِه مرة أخرى، لم يترُكه بعد ذلك لمَّا قال: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف:٦٩].

وبعد تقلُّبه عليه السلامُ في أعطاف رحمةِ الله ومغفرتِه ونُصرته وكفايته، نجده عليه السلام محبًّا لربه، آنسًا بحضرتِه، مشتاقًا لرؤيته ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٤٣] مستطيلًا لحديثه ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه:١٨]، مُسارعًا إليه، مُلتمسًا رضاه ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه:٨٤].

ومن منَّا لم يعتدْ من الله العوائد، ولم تنله أيادِيه بالجلي والخفي، ولم يتحبَّب ربه إليه بالفضل واللطف.

من هنا ظهرَ شيءٌ من حكمتِه تعالى في ذكرِه ما ذكرَ من قصَّته عليه السلام، وفي تفصيلِه ما فصَّل. والله أعلم.

٤- الدروسُ التربوية من قصة سيدنا موسى عليه السلام لم تقتصر على جانبٍ من الجوانب الحياتية أو الإنسانية، بل اتسعت لتشملَ جوانبَ عدة:

- الديني: في علاقة الإنسان بربه، وتحقيقه لعبوديته، وتأدُّبه في خطابه، واعترافه بفضله، واستعمالِه نعمَه في مرضاته.

- العلمي: في فضل العلم وثمرته، وبيانِ منزلة العلماء، وفي كيفية طلبه، وآداب طالب العلم، وما يلزمه من الأدب والتواضع لأستاذه.

وفي شيء مما يجمُل بالأستاذ مراعاته مع تلميذه.

- الخُلُقي والمعاشي: من نصر المظلوم، وإعانة المحتاج، والعفو عن المخطئ، وقبول عذر الناسي، ومن الأمانة والعفة، وبذل المعروف والصلة، وإرشاد المخطئ وتنبيهه، إلى غير ذلك.
- في شيء من الآداب: كالاستعانة بأهل المعرفة والأمانة فيما يستصعب من الأمور، وكاختيار الصاحب والرفيق في السفر وفي غيره، وكالصبر على خبر المخبِر حتى يتبين، وعدم المبادرة إلى إنكار ما يُسمع، وكإباحة الإخبار بحال النفس من المرض أو الشدة أو غيره.

٥- الدروس المستنبطة في هذا البحث هي في معظمها أخلاقية تربوية، والأخلاق هي قوام الدين والدنيا، فالنبي صلى الله عليه وسلم إنما بعث ليتمم صالحَ الأخلاق(١)، وهي ركيزة الحضارة والتقدم، فإذا فُقدت فُقدت، وبرصيدها من الأخلاق تُقاس الأمم:

إنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيت فإن همُ ذهبت أخلاقُهم ذهبُوا

٦- كشف البحث عن بعض المآلات والثمرات التي يجدها المتحقق بهذه الأخلاق، فمن ذلك:

- الظفر بالمرجوّ لمن التجأ إلى الله وأيقن بوعده وصبر على قضائه.
- الحفظ والصيانة من الله لمن أصلح في عمله.
- تحقيق العزم المستقبل لمن علَّقه في كلامه بالمشيئة.
- تحصيل العلم ونيل المطلوب منه لمن صبر واجتهد في طلبه.
- والثمرة الكلية: الإمامة الدينية والدنيوية التي هي وظيفة الأنبياء والمرسلين، وهي طريق الجنة.

هذا، وأرجو أن يجعل الله في هذا العمل النفعَ والقبول، وصلى الله وسلم على سيدي محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) ففي الحديث: "إنما بُعثت لأتمِّم صالحَ الأخلاق"، أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند المُكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ج١٤، ص٥١٢، (ح ٨٩٥٢)، وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه عليه: صحيح.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**
- ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (ط١: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ)
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، (الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م)
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، (ط١: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ)
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد سلامة، (ط٢: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠ه)
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، قصص الأنبياء، ت: مصطفى عبد الواحد، (ط٣: مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة،١٤٠٨ه)
- الآلوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، (ط١: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ)
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، (ط١: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ)
- البوطي، محمد سعيد، فقه السيرة النبوية، (ط٢٥: دار الفكر، دمشق، ١٤٢٦هـ)
- البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (ط١: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨ه)
- الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، (ط٢: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٥ه)
- الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، (ط٣: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ)
- الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، ت: عبد الجليل عبده شلبي، (ط١: عالم

الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ)

- الزمخشـري، محمود بن عمرو، الكشـاف عن حقائق غوامض التنزيل، (ط٣: دار الكتاب العربي، بيروت،١٤٠٧هـ)
- الشهاب الخفاجي، أحمد بن محمد، عناية القاضي وكفاية الراضي، (دار صادر، بيروت)
- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: عبد الله بن عبد المحسـن التركي، (ط١: دار هجر، ١٤٢٢ه)
- طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (ط١: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨)
- الطيبي، الحسين بن عبد الله، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، ت: إياد محمد الغوج، جميل بني عطا، (ط١: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٣٤هـ)
- عباس، فضل حسن، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، (ط١: دار الفرقان، عمان، الأردن، ١٤٠٧هـ)
- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (ط٢: دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ)
- الماتريدي، محمد بن محمد، تأويلات أهل السـنة، ت: د. مجدي باسـلوم، (ط١: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ)
- النسـفي، عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ت: مروان محمد الشـغار، (ط٣: دار النفائس، بيروت، لبنان، ١٤٣٥هـ)

الرسائل العلمية:

- الوزير، أسعد بن إبراهيم، قصة سيدنا موسى عليه السلام في القرآن الكريم، رسالة ماجستير في الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، إشراف الأستاذ: محمد يوسف الواثق، (٢٠٠٣م)

المواقع الالكترونية:

- المنجد، محمد صالح، (٢٨ رمضان ١٤٢٣ه) دروس وعبر من قصة الخضر، (الموقع الرسمي للشيخ محمد صالح المنجد https://almunajjid.com/courses/lessons/142)

فهرس موضوعات البحث

المحتويات